فإن قلت : كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم ؟ قلت : للظروف شأن وهو تنزلها من الأشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها . فإن قلت : فأي فائدة في تقديم الظرف حتى أوقع فاصلا ؟ قلت : الفائدة فيه بيان أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم . فإن قلت : فما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل : ما لنا أن نتكلم بهذا ؟ قلت : معناه معنى ينبغي ويصح أي : ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا وما يصح لنا . ونحوه : ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق . و " سبحانك " للتعجب من عظم الأمر . فإن قلت : ما معنى التعجب في كلمة التسبيح ؟ قلت : الأصل في ذلك أن يسبح ا عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أو لتنزيه ا تعالى من أن تكون حرمة نبيه عليه السلام فاجرة . فإن قلت : كيف جاز أن تكون امرأة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام ولم يجز أن تكون فاجرة ؟ قلت : لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب أن لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر . وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات .

" يعظكم ا أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين " أي كراهة " أن تعودوا " أو في أن تعودوا من قولك : وعظت فلانا في كذا فتركه . وأبدهم ما داموا أحياء مكلفين . و " إن كنتم مؤمنين " فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالإيمان الصاد عن كل مقبح .

" ويبين ا لكم الأيات وا عليم حكيم " ويبين ا لكم الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ الشافية وا عالم بكل شيء فاعل لما يفعله بدواعي الحكمة .

" إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين ءامنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والأخرة وا يعلم وأنتم لا تعلمون " المعنى : يشيعون الفاحشة عن قصد إلى الإشاعة وإرادة ومحبة لها وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول ا A عبد ا بن أبي وحسنا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره . وقيل : هو المراد بقوله : " والذي تولى كبره منهم " النور : 11 " وا يعلم " ما في القلوب من الأسرار والضمائر " وأنتم لا تعلمون " يعني أنه قد علم محبة من أحب الإشاعة وهو معاقبه عليها .

" ولولا فضل ا عليكم ورحمته وأن ا رءوف رحيم " وكرر المنة بترك المعالجة بالعقاب

حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمة . وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك في التواب والرءوف والرحيم .

" يأيها الذين ءامنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل ا عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن ا يزكى من يشاء وا سميع عليم " الفحشاء والفاحشة : ما أفرط قبحه . قال أبو ذؤيب : ضرائر حرمي تفاحش غارها أي : أفرطت غيرتها . والمنكر : ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترضيه . وقرئ : (خطوات) بفتح الطاء وسكونها . وزكى بالتشديد والضمير تعالى ولولا أن ا تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس إثم الإفك ولكن ا يطهر التائبين بقبول توبتهم إذا محضوها وهو " سميع " لقولهم " عليم " بضمائرهم وإخلاصهم .

" ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل ا وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر ا لكم وا غفور رحيم "